

# رَبِّهَا الْحَيَاة !

آنّا باربولد ( ١٧٨٨ - ١٨٤٥ )

« Anna Leatttia Barbauld »

أنا لا أعرف كنهك أيتها الحياة  
بيد أنني أعرف أننا سنمضي معاً  
أما متى ؟ وكيف ؟ وأين نلتقي ؟  
فهذا هو السر الخفي .



سوف نقضي معاً زمناً طويلاً أيتها الحياة  
نتفياً ظلال السعادة أو نكابد ألوان العذاب  
ولكن... ما أصعب أن تفارقيني ذات يوم  
ويشعني أصدقائي بالدموع والتهنيدات !



ليتك عندما تريدن أن تودعيني  
تنبهيني الى ساعة الفراق  
اختاري الوقت الذي تشائين  
ولكن... في نهار مشرق جميل  
فلا تقولين لي : طابت ليلتك !  
بل : صباح الخير .

ترجمة : مرتضى شراره

فانا قائد حقيقي واما ان ادير المعركة ووجهي على هُد جارية في قصر منيف فانا في هذه الحالة متجرد من رسالي . والفنان انسان غير عادي .. انه ينظر من اعل ويحيط الاشياء والعالم بنظرة شاملة ، انه يكاد يجمعها كائناً واحداً امام عينيه يتفحصها ويعيها .. ثم يعبر عنها اما بالنغم واما باللون واما بالكلمة واما بالحجر .

الفنان يعيش فكرته ملء كيانه . يعيش واقعه ، تلك التجربة الحية ، أكثر مما يتمثله . الاكتفاء بتمثل التجربة فقط أمر مرفوض . التجربة إذا لم تعش ولم تعان بالفعل فقد الفنان جزءاً كبيراً من قدرة التعبير عنها بصدق ، وفقد قدرة التخطيط الصحيح وقدرة الوصول السليم إلى الغاية الحقيقية .

لا يمكن أن أفهم حقيقة أخي المناضل هناك في جبال أهراس وفي كل مكان من سهول الجزائر يحكي الدم فيه ، ما لم أعش فضال أخي ، ما لم أحقق جزءاً من كفاحه بالتجربة المعاشة ، بصهر أعالي ، كل أعالي ، بحقيقة الكفاح .

مثل هذا الكفاح حققه فوشيك ، جولوس فوشيك ، الأديب الذي عاش للثورة وفي الثورة ومات من أجلها .

حققه دستوفسكي المعذب المجنون .. المنفي في سيبيريا حيث حقول الجليد .

أن نعيش الحقيقة لنعبر عنها هو ما نبغيه . الفنان زعيم روحي عليه أن يكون أبداً في الطليعة . أما أن أرى دمي يهرقه جسدي فأحكي عنه وأما أن أقبع باسرخاء في غرفتي الدافئة أحكي عن الدم الذي يهرقه أخي في ليالي .. وأنا لا أراه . أن يعيش الفنان حياته كما تقرض عليه الرسالة هو تحقيق لوجوده .

إنها صلاة يرفعها من أجل هؤلاء الذين عاشوا الصراع ، من أجل العباقرة الذين احترقوا في سبيل الحقيقة . من أجل لوركا .. لوركا الشهيد .. المقتول في ساعة ذهبية عند الغروب . والمقدوف من أعلى قمة ليلحقه الرصاص ويصرعه ميتاً عند السفح . من أجل « نيرودا » .. المنفي والمناضل في صفوف الحرية في تشيلي واسبانيا وفي كل مكان يدعو إلى الحرية .

من أجل سارتر « المقاومة » خلال معركة البطولة . من أجل همنغواي وشتاينبك وكل الذين حاربوا ضد الاستعمار والفاشية .

من أجل ناظم حكمت المعذب في سجون الحديد . من أجل سقراط الذي مات في سبيل المعرفة . من أجل كل هؤلاء الذين عاشوا حياة الزعيم كما ينبغي أن تعاش .

عاشوا جميعهم في قلق مستمر في سبيل الخلق والإبداع ، وفي شوق دائم لمعرفة الحقيقة . أما أن أسكر بثمان مئة نسخة من كتاب ، وأما أن أحلم بامرأة وبفيلا وبكاديلاك ، وفي لحظات الصفاء أجلس لأكتب عن المعذبين وعن الضعفاء وعن المستشهدين والمضطهدين ، أجلس لأكتب وأنا لا أعيش حياتهم ، ولا أدرك أعماقهم .. ولا أشعر بأحلامهم وأحاسيسهم .. ولا قضيتي قضيتهم .. ولا أحرابي أحرانهم ؟ حين أجلس لأكتب من أجل الكتابة فحسب .. من أجل « طرح » الصوت فقط ، فأنا بذلك أتذكر لرسالة الفنان وحرية ومسئوليته . الفنان ليس ملك نفسه .. انه ملك الشعب .. ملك قضيته .. انه ملك العالم الذي يعيش فيه ويناضل فيه من أجل حياة سعيدة .

الفنان إنه صغير يصنع العبقرية ، ويصنع الإبداع .. ويوجه ، ويقود ، ويضيء الطريق .. انه تلك الدرب الكبيرة .. الكبيرة جداً التي تسير عليها قافلة الإنسانية نحو تحقيق آمالها .

وجيه رضوان

- بيروت